

# المؤمن أوسع الناس أملاً وتفاؤلاً



الأحد 11 فبراير 2018 03:02 م

كتب: د/ صلاح محمد

د/ صلاح محمد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد  
فالمؤمن أوسع الناس أملاً، وأكثرهم تفاؤلاً واستبشاراً، وأبعدهم عن التشاؤم والتبرم والضر، إذ الإيمان معناه الاعتقاد بقوة عليا تدبر هذا الكون لا يخفى عليها شيء، ولا تعجز عن شيء، الاعتقاد بقوة غير محصورة، ورحمة غير متناهية، وكرم غير محدود، الاعتقاد بإله قدير رحيم، يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، يمنح الجزيل، ويغفر الذنوب، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، إله هو أرحم عباده من الوالدة بولدها، وأبر بخلقه من أنفسهم

إله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل

إله يفرح بتوبة عبده أشد من فرحة الضال إذا وجد، والغائب إذا وفد، والظمان إذا ورد  
إله يجزي الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف أو يزيد، ويجزي السيئة بمثلها أو يعفو  
إله يدعو المعرض عنه من قريب، ويتلقى المقبل عليه من بعيد، ويقول: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة" (حديث قدسي رواه البخاري وغيره).

إله يداول الأيام بين الناس، فيبدل من بعد الخوف أمناً، ومن بعد الضعف قوة، ويجعل من كل ضيق فرجاً، ومن كل هم مخرجاً، ومع كل عسر يسراً

المؤمن الذي يعتصم بهذا الإله البر الرحيم، العزيز الكريم، الغفور الودود، ذي العرش المجيد، الفعال لما يريد - يعيش على أمل لا حد له، ورجاء لا تنفصم عراه إنه دائماً متفائل، ينظر إلى الحياة بوجه ضاحك، ويستقبل أحداثها بثغر باسم، لا بوجه عبوس قمطير

فهو إذا حارب كان واثقاً بالنصر، لأنه مع الله فالله معه، ولأنه لله فالله له (إنهم لهم المنصورون \* وإن جندنا لهم الغالبون) (الصفات: 172، 173).

وإذا مرض لم ينقطع أمله في العافية (الذي خلقني فهو يهدين \* والذي هو يطعمني ويسقين \* وإذا مرضت فهو يشفين) (الشعراء: 78 - 80).

وإذا اقترب ذنباً لم ييأس من المغفرة، ومهما يكن ذنبه عظيماً فإن عفو الله أعظم (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً، إنه هو الغفور الرحيم) (الزمر: 53).

وهو إذا أعسر لم يزل يؤمل في اليسر (فإن مع العسر يسراً \* إن مع العسر يسراً) (الشرح: 5، 6). ولن يغلب عسر يسرين أبداً قال ابن مسعود: لو دخل العسر جحراً لتبعه اليسر

وهو إذا انتابته كارثة من كوارث الزمن كان على رجاء من الله أن يأجره في مصيبتيه ويخلفه خيراً منها (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون \* أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) (البقرة: 156، 157).

وهو إذا عادى أو كره، كان قريباً إلى الصلة والسلام، راجياً في الصفاء والوئام، مؤمناً بأن الله يحول القلوب (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة، والله قدير، والله غفور رحيم) (الممتحنة: 7).  
وهو إذا رأى الباطل يقوم في غفلة الحق أيقن أن الباطل إلى زوال، وأن الحق إلى ظهور وانتصار (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) (الأنبياء: 18)، (فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) (الرعد: 17).

وهو إذا أدركته الشيخوخة، واشتعل رأسه شيباً لم ينفك يرجو حياة أخرى فيها شباب بلا هرم، وحياة بلا موت، وسعادة بلا شقاء (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب، إنه كان وعده مأتياً \* لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً، ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيماً) (مريم: 61، 62).

إن الماديين يقفون عند السنن المعتادة، والأسباب الظاهرة، لا يطمعون في شيء وراءها، أما المؤمنون فيعلون على ظواهر الأسباب، وينفذون إلى سر الوجود، إلى الله خالق الأسباب والمسببات، الذي عنده من الأسباب الباطنة ما يخفى على إدراك عباده، فلماذا لا تتجه قلوبهم إليه حين تدلهم الأزمت، وتستحكم الحلقات، ويضيق على أعناقهم الخناق؟

إنهم يجدون فيه الملاذ في الشدة □ والأنيس في الوحدة، والنصير في القلة □ يتجه إليه المريض الذي استعصى مرضه على الأطباء، ويدعوه آملاً الشفاء □

ويتجه إليه المكروب يسأله الصبر والرضا، والخلف من كل فائت، والعض من كل مفقود □ ويتجه إليه المظلوم آملاً يوماً قريباً ينتصر فيه على ظالمه، فليس بين دعوة المظلوم وبين الله حجاب □ ويتجه إليه المحروم من الأولاد سائلاً أن يرزقه ذرية طيبة □

وكل واحد من هؤلاء أمل في أن يجاب إلى ما طلب، ويحقق له ما ارتجى، فما ذلك على قدرة الله بعيد، وما ذلك على الله بعزير □ طلب إبراهيم الولد وهو شيخ كبير (رب هب لي من الصالحين) (الصافات: 100) فاستجاب الله له وبعث إليه الملائكة، في صورة ضيوف من البشر فقالوا له (إنا نبشرك بغلام عليم \* قال أبشروني على أن مسني الكبر فبم تبشرون \* قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين \* قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) (الحجر: 53 - 56).

وقد أثنى على ربه فقال: (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق، إن ربي لسميع الدعاء) (إبراهيم: 39). ويعقوب بعد أن طالت غيبة ولده يوسف عنه، وبعدت مسافة الزمن بينه وبينه، وكان جديراً أن يفقد الأمل في لقائه، ثم فجع بحجز شقيقه من بعده في حادثة صواع الملك، لكنه مع هذا لم يتسرب إلى فؤاده اليأس، بل قال: (فصبر جميل، عسى الله أن ياتيني بهم جميعاً، إنه هو العليم الحكيم) (يوسف: 83).

وحين أبدى أسفه على ابنه يوسف قال له أبناؤه: (تالله تفتنوا تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين \* قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون) (يوسف: 85، 86). ثم ألقى إلى أبناؤه بحقيقة ما في نفسه من أمل حلو تعززه الثقة بالله أن يجمع شمله بأبنائه فقال: (يا بني أذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) (يوسف: 87).

(ذكر رحمة ربك عبده زكريا \* إذ نادى ربه نادئاً خفياً \* قال رب إنني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً \* وإنني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتني عاقراً فهب لي من لدنك ولياً \* يرثني ويرث من آل يعقوب، واجعله رب رضياً) (مريم: 2 - 6) فاستجاب له السماء: (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً) (مريم: 7).

(وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين \* فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) (الأنبياء: 83، 84).

ويونس قد ابتلعه الحوت (فنادى في الظلمات أن لا اله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين \* فاستجبنا له ونجيناه من الغم، وكذلك نجى المؤمنين) (الأنبياء: 87، 88).

وموسى حين يسري بقومه لينجو بهم من فرعون وجنوده، فيعلمون بسراه ويحشدون الحشود ليدركوه (فأتبعوهم مشركين \* فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى: إنا لمدركون) (الشعراء: 60، 61) وأي إدراك أكثر من هذا؟ البحر من أمامهم والعدو من ورائهم!! بيد أن موسى لم يفرغ ولم ييأس، بل قال (كلا، إن معي ربي سيهدين) (الشعراء: 62) ولم يضيع أمله سدى ... (فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر، فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم \* وأزلفنا ثم الآخرين \* وأنجينا موسى ومن معه أجمعين \* ثم أغرقنا الآخرين \* إن في ذلك لآية) (الشعراء: 63 - 67).

ومحمد يلجأ إلى غار ثور في هجرته مع صاحبه الصديق، ويقتفي المشركون آثار قدميه، ويقول قائلهم: لم يعد محمد هذا الموضع .. فإما صعد إلى السماء من هنا، وإما هبط إلى الأرض من هنا ... ويشند خوف الصديق على صاحب الدعوة وخاتم النبيين ويكي ويقول: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرأنا، فيقول له النبي: "ما ظنك باثنين الله ثالثهما"، وكانت العاقبة ما ذكره القرآن (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا، والله عزيز حكيم) (التوبة: 40).

وهذه وقائع عرفها التاريخ الذي لا شك فيه، وربما أنكر الماديون بعضها أو كلها، لأنها تخرج على الأسباب المعتادة للناس، غير أن المؤمنين يوقنون أن الأسباب المعتادة لا تحد قدرة الله المطلقة، وليس ثباتها واجباً عقلياً لا يقبل الانفكاك، ولو جمد العلماء والمخترعون على ما اعتاده الناس، وما تعارفوا عليه في عصرهم، ما تقدم العلم شبراً ولا فتراً، وما وصلنا إلى عصر الذرة والفضاء □